

## تفسير البحر المحيط

@ 178 @ بالذات ، كالواحد مع الإثنين ، وليس الواحد علة للاثنين بخلاف القسم الأول .  
وتقدم بالشرف ، كتقدم الإمام على المأموم . وتقدم بالزمان ، كتقدم الوالد على الولد  
بالوجود ، وزاد بعضهم سادس وهو : التقدم بالوجود حيث لا زمان . ولما ذكر تعالى حال هؤلاء  
الكفار في الدنيا ، أخبر بما يؤول إليه أمرهم في الآخرة من العذاب العظيم . ولما كان قد  
أعد لهم العذاب صير كأنه ملك لهم لازم ، والعظيم هو الكبير . وقيل : العظيم فوق ، لأن  
الكبير يقابله الصغير ، والعظيم يقابله الحقيق . قيل : والحقيق دون الصغير ، وأصل  
العظم في الجثة ثم يستعمل في المعنى ، وعظم العذاب بالنسبة لي عذاب دونه يتخلف فتور ،  
وبهذا التخلل المتصور يصح أن يتفاضل العرضان كسوادين أحدهما شيع من الآخر ، إذ قد تخلل  
الآخر ما ليس بسواد . .

وذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى : { إِنَّ السَّادِّينَ كَفَرُوا } إلى قوله : {  
عَظِيمٌ } ، أقوالاً : أحدها : أنها نزلت في يهود كانوا حول المدينة ، قاله ابن عباس ،  
وكان يسميهم . الثاني : نزلت في قادة الأحزاب من مشركي قريش ، قاله أبو العالية .  
الثالث : في أبي جهل وخمسة من أهل بيته ، قاله الضحاك . الرابع : في أصحاب القلب :  
وهم أبو جهل ، وشيبة بن ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن  
المغيرة . الخامس : في مشركي العرب قريش وغيرها . السادس : في المنافقين ، فإن كانت  
نزلت في ناس بأعيانهم وافوا على الكفر ، فالذين كفروا معهودون ، وإن كانت لا في ناس  
مخصوصين وافوا على الكفر ، فيكون عاماً مخصوصاً . ألا ترى أنه قد أسلم من مشركي قريش  
وغیرها ومن المنافقين ومن اليهود خلق كثير بعد نزول هاتين الآيتين ؟ . .

وذكروا أيضاً أن في هاتين الآيتين من ضروب الفصاحة أنواعاً . الأول : الخطاب العام  
اللفظ الخاص المعنى . الثاني : الاستفهام الذي يراد به تقرير المعنى في النفس ، أي  
يتقرر أن الإنذار وعدمه سواء عندهم . { عَلايْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ  
تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ } ،  
وحقيقة الختم وضع محسوس على محسوس يحدث بينهما رقم يكون علامة للختم ، والختم هنا  
معنوي ، فإن القلب لما لم يقبل الحق مع ظهوره استعير له اسم المختوم عليه فبين أنه من  
مجاز الاستعارة .